

ناظم حكمت

# ملحمة الشيخ بدر الدين ابن قاضي سيمونة



نقلها عن التركية فاضل لقمان

دار الفارابي

لتحميل كتب متنوعة راجع: «مُنْتَدَى اقْرَأْ الثَّقَافِي»

بِوَدَائِهِ رَأَيْتُنِي جَوَّدَهَا كَتَيْب: سَهْرَدَانِي: «مُنْتَدَى اقْرَأْ الثَّقَافِي»

برای دانلود کتابهای مختلف مراجعه: (منتدی اقرا الثقافی)

[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)



[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)

للکتاب ( کوردی ، عربی ، فارسی )

منتدى اقرأ الثقافي

---

[www.iqra.ahlamontada.com](http://www.iqra.ahlamontada.com)

ملحمة

الشيخ بدر الدين بن قاضي سماونه



ناظم حكمت

ملحة الشيخ بدر الدين  
ابن قاضي سِّماوَنَة

« أول فائز ثورة اجتماعية فلاسفية في تاريخ البشريّة  
سُنّي في مدينة سيرز SEREZ عام ١٤٢٠ »

نقلها عن التركية فاضل لقمان

دار الفارابي - بيروت

١٩٧٩

١٩٧٩ جميع الحقوق محفوظة

---

دار الفارابي - ص.ب : ٣١٨١ - بيروت  
الطبعة الاولى ايار ١٩٧٩

## مقدمة

ان الشيخ بدرالدين هو فيلسوف وعالم ديني تركي عاش بين عامي ١٣٤٤ و ١٤٢٠ . وقد عرف بلقب السيمائي لأن من المعتقد انه ولد في بلدة سيماء التابعة لمدينة كوتاهية .

اثارت آراء الشيخ بدرالدين الداعية الى المساواة التامة بين البشر دون النظر الى الاختلاف في الدين والمعتقد ، والى جعل نتاج جميع الممتلكات والاراضي ملكية مشتركة للجميع ، والى تحليل بعض الاشياء المحرمة اهتماما كبيرا بين صفوف الشعب مما اهتل الشيخ بدرالدين لأن يكون قائدا لاولى الثورات الاجتماعية الكبرى في تاريخ تركيا .

ان الشيخ بدرالدين الذي قال بعدم امكانية التفكير بالروح بمعزل عن المادة ، وبتساوي الدنيا والآخرة وتناظر كل من عالمي المادة والروح ، كان اول الفلاسفة الماديين في تركيا .

لعبت افكار بدرالدين دورا كبيرا في الانتفاضات الفلاحية المناهضة للاقطاع والتي انتشرت انتشارا واسعا في مناطق آيدين ومانيسا في القرن الخامس عشر . حققت هذه الحركات الفلاحية بقيادة اثنين من تلاميذ الشيخ بدرالدين هما : بوركلوجه مصطفى وتورلاق كمال نجاحا كبيرا غير ان قوات السلطان محمد الجلي قامت باغراقها في بحر من الدماء بكثير من القسوة والعنف . بعد ذلك تمكن بدرالدين من عبور البحر واستأنف دعوته الثورية بعد ان عسكر في دلي اورمان ( الغابة المجنونة ) ، غير ان جواسيس السلطان تمكنوا من التسلل الى حركته ونجحوا في اختطاف الشيخ



الذي تم شنقه في بلدة سيرز .  
 ان احد الاسباب التي جعلت ناظم حكمت يكتب ملحمة  
 الشيخ بدرالدين ، بل اهم هذه الاسباب ، هو ان هذا الشيخ  
 استطاع قبل خمسة قرون من الآن ان ينشر بين صفوف الشعب  
 افكار المساواة والحرية ودفع حياته ثمنا لنضاله في هذا السبيل .  
 بعد طباعة ملحمة الشيخ بدرالدين عام ١٩٣٦ حاول بعض  
 ادعياء اليسار من المثقفين في تركيا ان يتهموا ناظم حكمت بالقومية  
 الضيقة ، ودمغوا الملحمة بوصمة التنافي مع الماركسية زاعمين بأن  
 الشعور بالكرامة القومية غريب عن البروليتاري الاممي . وللد  
 على هذه الاتهامات شعر ناظم حكمت بضرورة اضافة « ذيل » ما  
 للحمته فنشر في العام نفسه كراساً يحمل عنوان « الكرامة  
 القومية » . وكان هذا الكراس ، مثلما هو واضح من عنوانه ومن  
 محتواه ، رداً على الانتقادات من جهة ، ووسيلة للتعريف بمقال  
 لينين الذي كان بعنوان « كرامة الروس القومية » في تركيا .

المترجم

## ملحمة الشيخ بدر الدين بن قاضي سيماونة

كنت أتابع قراءة رسالة تحمل عنوان « بدر الدين قاضي سيماونة » طبعت في مطبعة الاوقاف الاسلامية عام ١٩٢٥م = ١٣٤١هـ لكتابها السيد محمد شرف الدين أفندي مدرّس « تاريخ الكلام » في كلية الشريعة ( الالهيات ) بدار الفنون . وعند وصولي الى الصفحة الخامسة والستين من الرسالة وجدت الكلام التالي على لسان دو كاس Dukas الذي كان يعمل لدى الجنوبيين بوصفه كاتباً للأسرار Serkâtip

« في تلك الأثناء ظهر على مسرح الأحداث شخص تركي من الفلاحين العاديين البسطاء في منطقة جبلية قريبة من مدخل خليج اليونيون تلك المنطقة التي عرفها العامة باسم « Karaburnu » قره بورنو » ( المنقار الاسود - ستيلاريوم ) . وستيلاريوم هذه واقعة مقابل جزيرة « صاقيز » . وهذا الفلاح كان يعظ الأتراك وينصحهم بأن يجعلوا كل الممتلكات ، عدا النساء ، من أرزاق وملابس وأراضٍ وغيرها جميعا ملكية مشتركة للجميع » . وتخلت أمامي كاتب الأسرار عند الجنوبيين الذي يبين بمثل هذا الوضوح مواعظ وتعاليم ذلك الفلاح التركي البسيط في

ستيلاريوم ، تخيلته ملفوفاً بألبسته المخملية السوداء ، تخيلته بلحيته المدية ، بوجهه الشاحب المتطاوّل المناسب للمراسيم .  
وقيامه بوصف أكبر مريدي الشيخ بدرالدين بن قاضي سيماونه  
مصطفى بوركلوجه بصفة « العادي » ، بمعنيها ، جعلني  
أضحك . وفجأة عدت الى التفكير بمؤلف الرسالة السيد محمد  
شرف الدين أفندي فهو لدى حديثه في رسالته عن أهداف  
بدرالدين يقول :

« لم يكن لجوء بوركلوجه الى استثناء النساء لدى  
وعظه بجعل الأرزاق والمواشي والأراضي وما اليها ملكية  
عامة الا نوعاً من التقية والتستر كي لا يفتضح أمره عند  
الرأي العام . ولا شك بأن أستاذ مصطفى القائل بوحدة  
الوجود لم يعطه درساً خاصاً يقضي بمثل هذا الاستثناء » .  
ومن هنا اكتشفت أن مدرّس تاريخ الكلام هذا جدير بأن  
يحمل أوسمة سبعة أكراماً له على قيامه بضرب الرمل هذا للكشف  
عن ضمائر الناس عبر العديد من القرون . وتذكرت جملتين  
قالهما ماركس وأنجلز :

« ليست امرأة البرجوازي عنده سوى أداة انتاج  
بسيطة ، وهو يسمع أن أدوات الانتاج يجب أن تكون  
مشتركة ، فيستنتج من ذلك بالطبع أن النساء أنفسهن  
سوف يسري عليهن ذلك » .

فما الذي يمنح مدرّس الفقه في كلية الشريعة بدار الفنون  
من أن يفكر بالاشتراكية الفلاحية القروسطية عند بدرالدين مثلاً  
يفكر البرجوازي بالاشتراكية العمالية العصرية ؟ أليست المرأة في  
نظر اللاهوت و « الفقه » سلعة من السلع ؟

أطبقت الرسالة • أحسست بشيء من الحك والحرق في عيني غير أنني لم أكن ميالا الى النوم • نظرت الى الساعة ذات ماركة القطار المعلقة على الجدار • وجدتها تقترب من الثانية • أشعلت سيجارة أعقبها بأخرى ورحت أصغي الى الأصوات المتجولة في الأجواء الشبهية بتراكم المياه الحارة الآسنة ذات الروائح الثقيلة المنبعثة في المجمع • كان المجمع باسمته المتعرق وبزلاؤه الثمانية والعشرين ، سواي ، نائما • أما عناصر الدرك في أبراج الحراسة فكانوا هذه الليلة أيضا يطلقون أصوات صفاراتهم بحدة أكثر وعلى فترات أقصر • وكلما جن جنون الصفارات كما هي الآن نتيجة لمجرد العدوى ، ربما دون أي سلب آخر ، أظنني في سفينة موشكة على الفرق في ليل داسم الظلام •

من المجمع العلوي كانت تنبعث أصوات صرير القيود الحديدية للمحكومين بالاعدام • كانت أوراق هؤلاء في محكمة التمييز • فمنذ عودتهم ذات مساء ماطر يعد صدور الحكم عليهم يتحركون هكذا مجرجرين قيودهم الحديدية محدثين الكثير من الجلبة باستمرار حتى ساعات الصباح • وعندما يخرجوننا نهارا للتنفس في الباحة الخلفية كنت أحاول النظر الى نافذة هؤلاء • كانوا ثلاثة من البشر • اثنان منهم جلسا معا في النافذة اليمنى والثالث يجلس وحده في النافذة الكائنة ناحية اليسار • وعلمت أن هذا الجالس وحده هو الذي ألقى القبض عليه أولا وهو نفسه الذي أفشى بسر الآخرين • وقد كان أكثرهم تدخينا •

ثلاثتهم كانوا يحيطون بقضبان النافذة الحديدية بأذرعهم •

ورغم أن المكان الذي كانوا يحتلونه كان يجعلهم قادرين تماما على رؤية البحر والجبال فانهم كانوا على الدوام ينظرون الى الاسفل الى الباحة ، اليانا نحن ، الى البشر .

لم أسمع أصواتهم على الإطلاق . فقد كانوا الوحيدين في السجن الذين لم يكونوا يغنون فلم يغنوا ولو لمرة واحدة . وعندما تصمت ذات فجر مظلم بصورة مفاجئة سلاسل الحديد التي تتولى الحديث عنهم وفي ساعات الليل فقط فإن السجن سيعرف بأن أكثر ساحات المدينة ازدحاما بالناس قد شهدت تدلي ثلاثة قمصان طويلة تحمل ثلاث يافطات على صدورها .

ليتي أحصل على حبة أسبرين ! أشعر بحرقة في كفي . في مخيلتي بدرالدين وبوركلوجه مصطفى يتجسدان . لو استطعت ان أجبر نفسي قليلا ، لو لم يكن ألم رأسي شديدا بحيث تغشى على عيني غيمة داكنة ، لأمكنني أن أرى عبر السنين البعيدة والمديدة بريق نصول السيوف وأسمع صليلها مع حممة الخيول وشقشقة لسعات الكراييج وعويل النساء وصراخ الأطفال ، ولاستطعت من خلال ذلك كله أن أرى وجهي بدرالدين ومصطفى مثل بشارتين مضيئتين متألقتين .

وقعت عيني على الرسالة التي تركتها فوق الاسمنت قبل قليل بعد اغلاقها . انها مغلفة بغلاف شبيه بـ « الجانرك » الذابل المتفسخ تحت أشعة الشمس المحرقة . وعلى الغلاف كتب اسم الرسالة بخط ثلثي مشكول . ومن داخل الغلاف تطل الأطراف الممزقة لأوراق الصحف الصفراء . « لا بد من انقاذ صاحبي بدرالدين من الخط الثلثي لهذا المدرّس في كلية

اللاهوت ، من قلمه المصنوع من القصب من وسائل كتابته ومن الرمال التي يستخدمها لتجفيف الحبر ! » • هكذا فكرت • انني أحفظ العديد من الأسطر التي قرأتها مرات عديدة لكل من ابن عربشاه وعاشق بيته زاده ونشري وادريسي تبليسي ، ودوكاس ، وحتى شرف الدين أفندي :

« يمكن بقوة تخمين أن تاريخ تولد الشيخ بدرالدين هو حول عام ٧٧٠ » •

« أنهى دراسته في مصر وبقي في هذه البلاد مدة طويلة وما من شك في أنه اكتسب شهرة علمية واسعة في هذه الاوساط » •

« لدى عودته من مصر الى أدرنه وجد أبويه لا يزالان على قيد الحياة » •

« مثلما يمكن تقدير أن سبب عودته الى هنا كان لزيارة أبيه وأمه ، فإن من المحتمل أن يكون سبب قدومه الى هذا البلد هو تلبية دعوة موسى الجليبي الذي كان سلطانا في تلك الايام » •

« عندما استطاع محمد الجليبي الحاق الهزيمة بأخيه وتمكّن من فرض سيطرته على الأوضاع أصدر أمراً يقضي بأن يقيم الشيخ بدرالدين في ازنيق » •

« يقول الشيخ في مقدمة « التحصيل » الذي أتمه هنا ... ان النار الكائنة في قلبي بدأت تتقد • وتزداد هذه النار اشتعالا وأواراً بحيث ستجعل قلبي يذوب ولو كان مقدوداً من الحديد الصلب » ...

« لدى نفي الشيخ الى ازنيق وصل مريده مصطفى

بوركلوجه الى ناحية آيدن • ثم رحل من هناك الى قره بورنو» •

« من أقواله مثلما أستطيع أنا أن أتصرف بما تملكه أنت يجب أن تكون أنت كذلك تماما قادرا على أن تتصرف بما أملكه أنا • وبعد أن أغوى وجذب الفلاحين والعامّة الى صفه بمثل هذا الكلام توجه نحو المسيحيين محاولا أن يبنى علاقات متينة معهم • ورغم أن والي صاروخان لدى الجليبي سلطان محمد شن حرباً على هذا الراهب المزيف فإنه لم ينجح في الوصول الى أبعد من ممرات ستيلاريوم الضيقة » •

« سمع ابن قاضي سيماونه أن أحوال بوركلجه أصبحت جيدة مما جعله هو الآخر يهرب من ازنيق ، ويصل الى اسفانديار • ومنها أبحر على ظهر أحد القوارب الى ناحية الأفلاك • ومن هناك دخل في بحر الأشجار » •

« وفي هذه الأثناء تلقى السلطان محمد أبناء تمرّد مصطفى خليفة الشيخ آنف الذكر في نواحي آيدن محدثاً الفوضى وناشراً الألحاد • وعلى الفور صدر قرار باسم ملك آسيا الصغرى وآماسيا السلطان مراد يقضي بحشد جميع جيوش الاناضول لمقاومة الملحد الكافر مصطفى • وسارت الجيوش الجرارة بكامل تجهيزاتها باتجاه آيدن للقضاء عليه .... » •

« وقد جمع مصطفى حوله ما يقرب من عشرة آلاف شخص من المفسدين والملحدين للوقوف في وجه الشاه زادة » •

« وجرت معركة طاحنة » .

« وبعد اهراق أنهار الدماء وفق الله المؤمنين فهزم الكفر والاحاد الفاضح » .

« وقد سيق من بقي حياً الى آياسلوق . لم تنجح أبشع وأقسى ألوان التعذيب التي تعرّض لها مصطفى في ثنيه عن ايمانه الراسخ ، فصلب على صليب من الخشب وحُمِّل على ظهر جبل ليطوفوا به في المدينة وليكون مهزلة وعبرة للناس . أما مريدوه الصادقون الذين أبوا أن يتخلوا عنه فقد تم ذبحهم أمامه . وكان هؤلاء يودعون الحياة في لحظاتهم الأخيرة وهم يشدون أحد أناشيدهم الحماسية » .

« وأخيراً قطعوا بركلوجه ارباً ارباً ، وطافوا على الولايات العشر ليقضوا على باقي أعوانه من جهة ، وليكافئوا أعوانهم وعملاءهم من البيكوات . وبعد ذلك توجه بايزيد باشا الى مانيسا حيث عثر على كمال طورلاق وشنقه » .

« في هذه الأثناء كانت أوضاع بدرالدين في بحر الأشجار في تقدم وازدهار . وقد تجمّع حوله عدد كبير من الناس القادمين من كل الجهات . وعلى العموم كان هذا وشيك الاندماج الكامل بالشعب وتولي قيادته ، مما أوجب أن يقوم السلطان محمد بالذات بالتحرك » .

« بتوجيه من بايزيد باشا تسلل عدد من الأشخاص الى تنظيمات القاضي بدرالدين وحلقات مريديه . واستطاع هؤلاء باتباعهم عدداً من الألاعيب والحيل أن يستفردوا



بالشيخ في الغابات وأن يوثقوا رباطه وأن يكبّلوه  
بالقيود . . . » .

« ثم جلبوه الى السلطان محمد في سيرز . وكان  
هناك مستشار أتى لتوه من بلاد العجم يدعى مولانا  
حيدر يرافق السلطان محمد باستمرار . وأصدر هذا  
« المولانا حيدر » فتواه قائلا : « شرعاً : قتل هذا حلال ،  
ولكن أمواله حرام ! » .

« ومن هناك نقلوا ابن قاضي سيماونه الى السوق  
وعلقوه عند باب أحد الدكاكين مشنوقاً . وبعد عدد  
من الأيام جاءت مجموعة من أتباعه الجنب وسيقوا جثته .  
ولا يزال يوجد في تلك الديار أناس من أتباعه » .  
رأسي يكاد انفجر . نظرت الى الساعة . لقد توقفت .  
أصبح صليل السلاسل الحديدية في الطابق العلوي أقل من ذي  
قبل . واحد فقط كان يتحرك . ربما يكون ذلك المتوحد  
الذي اعتاد أن يجلس في النافذة الشمالية .

أحس في أعماقي بحاجة الى سماع أغنية من أغاني الأناضول .  
يخيّل اليّ أنه لو بادر نزلاء مهجع قطاع الطرق الى تلاوة  
تلك الأغنية الجبلية الرائعة لزال صداعي تماماً .

أشعلت لفافة أخرى . انحنيت الى الارض الاسمنتية  
ورفعت رسالة محمد شرف الدين أفندي من هناك . عصفت  
رياح هوجاء في الخارج وراحت تزار بقوة مغطية على أصوات  
سلاسل القيود والصفارات والبحر الكائن تحت نافذتنا . من  
المؤكد أن نافذتنا هذه تشرف على بقعة صخرية . وكم من مرة  
أردنا أن نرى تلك البقعة الكائنة عند خط التقاء البحر بسور

سجننا ! ولكن المرء لم يكن ليستطيع أن يمد رأسه الى خارج النافذة • فالقضبان الحديدية قريبة جداً من بعضها • ونحن من هنا لم نكن نرى البحر الا في حالة امتداده الى الأفق •

فراش الطورنجي شفيق بجانب فراشي • تقلّب شفيق في نومه وهو يغنم ببعض العبارات غير المفهومة مما أدى الى ازاحة اللحاف الذي أرسلته زوجته ، وهو لحاف جهاز عرسه ، عنه • فأعدت اللحاف الى مكانه •

فتحت الصفحة الخامسة والستين من رسالة مدرّس تاريخ الكلام في كلية اللاهوت ( الشريعة ) مرة ثانية • وما أن قرأت سطرين مما كتبه كاتب أسرار الجنوبيين حتى طرق سمعي صوت اخترق حجاب آلام الصداق التي كنت أحس بها • وكان هذا الصوت يقول :

— انتي قادم اليك من فوق أمواج البحر دونما ضجيج ... •  
تلفتت حولي لأرى شخصاً خلف النافذة المطلة على البحر •  
وهذا الشخص هو الذي كان يتكلم ويقول :

« — هل لك أن تنسى ما كتبه دوкас كاتب أسرار الجنوبيين ؟ ألا تذكر ذلك الراهب الكريتي الذي كان يقيم في الدير الذي كان يحمل اسم تورلوت ؟ ذلك الراهب الناسك الذي تحدّث عنه دوкас ؟ فأنا واحد من « درايش » بوركلوجه مصطفى ، ألا يسعني أن آتي اليك مثل ذلك الناسك الكريتي مكشوف الرأس حافي القدمين ملفوفا بعباءة بيضاء ناصعة من فوق أمواج البحر ؟ » •  
أمعنت نظري في هذا الذي يقول هذا الكلام منتصباً خلف النافذة واقفاً بطوله رغم استحالة تمسكه بأي شيء على الجدار •

لقد كان كما قال تماماً ملفوفاً بعباءة بيضاء ناصعة •

والآن ، بعد انقضاء سنوات عديدة ، أفكر بمدرّس كلية اللاهوت ( الشريعة ) وأنا أكتب هذه الأسطر • انني لست على علم ما اذا كان شرف الدين أفندي قد مات أم أنه لا يزال حياً • غير أنه ، اذا كان حياً ، سيقول لدى قراءة ما أكتبه الآن كلاماً كالتالي :

« يا للعين ! من جهة يزعم أنه من الماديين ومن جهة ثانية لا يتورع عن الاستغراق ، مثل الناسك الكريتي ، في الحديث ، رغم انقضاء مئات السنين ، عن كونه تكلم مع أحد مريدي بوركلوجه الذي قطع البحار دون ضجيج » •

ويخيل لي أيضاً أنني أسمع الضحكات السماوية التي سيطلقها أستاذ تاريخ الكلام بعد قوله لمثل تلك العبارة • لا بأس فليستمر حضرته في اطلاق قهقهاته ! أما أنا فسأتابع رواية ملحمتي •

وفجأة توقف صداعي • وخرجت من فراشي لأتوجه مباشرة نحو الذي خلف النافذة • فأمسك بيدي • تركنا السجناء البالغ عددهم ثمانية وعشرين ، عداي أنا ، في المهجع النائم ملتفياً باسمته المتعرق • وبعد لحظة وجدتني فوق الصخور عند التقاء البحر بالسور في تلك البقعة التي لم نستطع أن نراها مهما حاولنا • وجنباً الى جنب مع تلميذ بوركلوجه عبرنا ، دونما ضجيج ، أمواج البحر الداكن قاطعين السنين والقرون حتى وصلنا الى عصر الجلبي السلطان محمد المعروف باسم السلطان غياث الدين أبو الفتح محمد بن ابن يزيد الكرشي •

ان القصة المثيرة التي أريد أن أرويها لكم هي قصة هذه الرحلة . فانا سأحاول أن أصور لكم المشاهد التي رأيتموها خلال هذه الرحلة بأصواتها وألوانها وحركاتها وصيغها مشهدا مشهدا مستخدما نتيجة عادة قديمة اعتدتها أسطراً قصيرة جينا ومزيلة جينا آخر مع اللجوء الى القوافي من حين لآخر .  
وفيسا يلي روايتي :



## - ١ -

على الديوان كان غطاء من حرير بورصه مخطط بالأحمر والأخضر  
وعلى الجدار كانت لوحات الصيني الكوتاهيه كحديقة زرقاء  
وكان خمر في الأباريق الفضية

وفوق الصواني النحاسية كانت خرفان، مشوية ، محمّرة كالجمر •  
بعد أن خنق أخاه من أمه وأبيه ، أخاه موسى ، بوتر القوس ،  
وبعد أن توضع بدم الأخوة في اناء من الذهب  
اعتلى الجلبي السلطان محمد العرش وصار ملكاً •

لقد أصبح الجلبي ملكاً ولكن  
الرياح التي عصفت ببلاد آل عثمان  
كانت صرخات عقم ، وحداءات موت •  
كانت الزعامة الفروسية أنوار عيني الفلاح  
وكان التيمار عرق جبينه •

على الليناييم انتصبت قامات الفرسان السباهيين ذوي الشوارب  
المعقوفة

بجانب الجرار المحطمة العطشى •  
وفي الدروب كان المسافر

يسمع نحيب الانسان الذي لا أرض له  
والأرض التي لا انسان لها •  
وفي ملتقى الدروب عند باب القلعة حين صلصت السيوف  
وحممت الخيول المزبدة  
بترت جماعات الحرف آمالها من أي شفيع  
واسودّ وجه الكون •  
هكذا كان ملك وكان تيمار وكانت رياح  
وكان الظلام •

## - ٢ -

هذه البحيرة هي بحيرة ازنيق

• راكدة

• داكنة

• عميقة

هي في قلب الجبال

• مثل مياه بئر

بحيراتنا هنا

مكللة بالضباب

لحوم أسماكها قاسية ،

تأتينا الملاريا من حشائش المستنقعات ،

وانسان البحيرة

يموت قبل أن تشيب شعرة واحدة من لحيته •

• هذه البحيرة هي بحيرة ازنيق

• بجانبها بلدة ازنيق

وفي قصبة ازنيق هذه

• ترى سندان الحدادين وقد غدا مثل قلب محطّم

• أطلقها جياع

• أئداء نساءها شبيهة بفراخ الأسماك المقددة

• شبّانها عازفون عن الغناء •



هذه القصبة هي قصبة ازنيق •  
 وهذا البيت هو واحد من بيوت حي الحرفيين  
 في هذا البيت شيخ يدعى : بدرالدين  
 قصير القامة  
 طويل شعر اللحية  
 أبيض شعر اللحية •

عيناه الغائرتان الطفلتان تشعان ذكاء  
 أصابعه الصفراء مثل أصابع عازف الكمان  
 انه بدرالدين  
 جالساً على فروة خروف أبيض  
 بالخط الرقعي الرائع يكمل كتابة  
 « التسهيل »

بجانبه ركعوا  
 وأمامه  
 ينظرون اليه كما لو كانوا ينظرون الى قمة جبل  
 وهو ينظر ليري أمامه :  
 حليق الرأس  
 كثيف الحاجبين  
 طويل القامة  
 مصطفى بوركلوجه النحيل



ويسرى  
كمال طور لاق ذو العرف النسري •  
انهم يحدقون في بدر الدين الذي نقي الى ازنيق  
دونما كلل أو ملل  
ولا يرتوون •

## - ٣ -

على الشاطئ امرأة تنتحب حافية القدمين  
وفي البحيرة قارب

للصيد انقطعت جباله  
يسبح فوق سطح الماء  
مثل جسد طائر ميت •  
يذهب الى حيث يأخذه اللج ،  
يذهب ليتحطم على الأمواج العاتية •

حلّ المساء على بحيرة ازنيق  
ضرب سباهيو الجبال ذوو الأصوات  
الخشنة رقبة الشمس  
فاسألوا دماءها الى البحيرة •

على الشاطئ امرأة تنتحب حافية القدمين  
انها زوجة صياد السمك الذي ربط بالسلاسل  
الى أسوار القلعة بسبب فرخ من فراخ السمك  
حلّ المساء على بحيرة ازنيق ،  
انحنى بدرالدين الى الماء  
ملأ يديه ثم انتصب  
وعندما كانت المياه تنساب من بين أصابعه

لنعود الى البحيرة

قال لنفسه :

« - تلك النار المضطربة في قلبي

زادت أواراً

يوماً بعد يوم •

وحتى لو كان قلبي من الحديد الصلب

لما استطاع الاحتمال ، لذاب دون شك •••

لقد عزمت على الثورة والعصيان

انتي ذاهب لتحرير الأرض يا ورثة الأرض !

بقوة العلم ، بسر التوحيد المتحقق

سنقوم بالغاء الحدود التي تفصل بين الأمم والمذاهب ••• »

في صباح اليوم التالي

يتحطم القارب في عرض البحيرة

ويتدحرج رأس مقطوع من القلعة

وتقف على الشاطئ امرأة منتجة

وأثناء قيام ابن سيماونه باتمام

« تسهيل »

لشم

كل من كمال طورلاق ومصطفى

يد شيخهما •

وقاما بشد سروج الخيول الحمراء  
وخرجا من بوابة ازنيق  
من أوساطهم تتدلى السيوف المجردة من أعمادها  
وفي الخرج الذي حملاه معهما كتاب مخطوط باليد  
اسم الكتاب ، كتابهم كان  
« الواردات » •

## - ٤ -

عندما لثم بوركلوجه وكمال طورلاق يد بدرالدين وانطلقا  
مستطيين جواديهما أحدهما باتجاه آيدن والآخر نحو مانيسا ،  
توجهت أنا الآخر مصطحبا دليلي باتجاه قرى قونيه وبلداتها ،  
ولدى وصولنا الى سهل هايماننا في أحد الأيام :

سمعنا نبأ تمرّد مصطفى  
في بلدة آيدن بمنطقة قره بورنو ( المنقار الأسود )  
حيث تلا كلام بدرالدين  
على أسماع الفلاحين •

وسمعنا أنه « بغية تحرير جميع الناس من البؤس  
تم توزيع لحم الأرض الشبيهة ببشرة فتاة في الخامسة عشرة  
بالغة النظافة

بعد انتزاعها من تيمار البيكوات الطغاة وزعاماتهم  
وبعد قطع رؤوس جميع الآغوات بالسيف » •

وسمعنا أنه ...

هل يمكن القعود بعد سماع مثل هذه الأنباء ؟  
وذات ساعة صباحية مبكرة

بينما كان طائر غريب يغرد في سهل هايماننا ،  
أكلنا حبات زيتون تحت شجرة صفصاف زاوية •





قلنا

« لنصل »

قلنا

« لنرَ »

وقلنا

« لنندفع نحن أيضاً ، ولنمسك بمقبض المحراث

لنفلح أرض أخينا ذلك الفلاح معاً » •

واجهتنا الجبال الشاهقة

تجاوزنا الجبال الشاهقة ...

أيها الأصحاب ،

أنا لا أسافر وحيداً ،

عند الأصيل ، قلت لرفيق طريقي المحبوب :

لقد أتينا

هيا أنظر !

بدأت الأرض أمامنا تضحك مثل طفل

هي الأرض نفسها التي كانت تبكي قبل خطوتين •

أنظر الى حبات التين الشبيهة بقطع الزمرد الكبيرة

وجذوع الكروم تكاد تتكسر من ثقل العناقيد المتكهربة

أنظر الى فراخ السمك التي تلعب في السلال

جلودها المبللة تتلألأ ، بقعها المحرشفة

لحمها الأبيض لذيد مثل لحم الخرفان الصغيرة المملوطة

قلت لك أنظر واسمع :

ان الانسان هنا خصب

- مثل الأرض ، مثل الشمس ، مثل البحر •
- والبحر والشمس والأرض معطاءة مثل الانسان •

## - ٥ -

عندما دخلنا مناطق بوركلوجه مخلفين وراءنا أراضى التيمار  
والزعامات الطاغية التابعة للطاغية الأكبر التقينا بآدىء الأمر  
بثلاثة شباب كانوا يرتدون لباساً أبيض دون خياطة ، بسيطاً مثل  
رداء الدليل الذى كان يرافقتى . كان أولهم ذا لحية سوداء فاحشة  
ومجعدة ، وذا عينين حذرتين بالسواد نفسه ، وذا أنف كبير  
مقوس . قيل انه كان سابقاً من أتباع الديانة الموسوية غير أنه  
الآن أصبح من مريدى بوركلوجه .

أما الثانى فكانت ذقنه ملتوية ويحمل أنفاً مستقيماً تماماً .  
علمنا أن هذا بحار من الروم من أهالى صاقيز . وهو الآخر من  
تلامذة بوركلوجه .

وكان الثالث رُبَّع القامة عريض الكتفين . ولدى استعادة  
صورته الآن أجده شبيهاً بحسين ذلك الذى يغنى أغاني الجبال  
وهو من نزلاء مهجع قطع الطرق . غير أن حسين هذا كان من  
أرضروم فى حين أن الآخر هو من آيدن .  
بادرنا هذا الآيدنى بالكلام قائلاً :

— هل أنتم أصدقاء أم أعداء ؟ اذا كنتم أصدقاء فأهلاً بكم  
وسهلاً . أما اذا كنتم أعداء فراقبكم أدق وأوهى من الشعر .  
— بل نحن أصدقاء .

وعلمنا في تلك الأثناء أن جماعتنا دحروا ، عند المرات  
الجبيلية الضيقة في قره بورنو ، من قبل جيش سيسان والي  
صاروخان، أي أولئك الذين يريدون إعادة الاراضي الى البيكوات  
الطغاه .

وأعاد ذلك الشبيه بحسين نزيل قطّاع الطرق الكرّة  
وقال :

— اذا كانت حبات التين على هذه الدرجة من اللذة والحلاّة  
كالعسل ، واذا كانت السنايل مملوءة بالحب وكثيرة الغلال ،  
اذا كانت حبات الزيتون ممتلئة الى هذه الدرجة بالزيت هذا العام  
على مائدتنا الأخوية المشتركة الممتدة من هنا وحتى البحر المتلاصق  
مع قره بورنو ، اذا كان ذلك كله كما قلنا فان السبب يكمن في  
أننا قمنا باروائها جميعا بدماء اللصوص الذين يرتدون القمصان  
السوداء .

كانت البشارة عظيمة ، وعلّق دليلي قائلا :

— اذن لنعد بسرعة ولنبلّغ بدرالدين ما سمعناه .

مصطحبين البحار الرومي آنستاس من صاقيز توغلنا في  
ظلام آل عثمان ثانية مخلفين وراءنا مناطق الأخوة التي لم نكد  
ندوس ذيولها .

وجدنا بدرالدين في ازنيق عند شاطئ البحيرة . كان  
الوقت صبحاً . كان الجو رطباً يبعث على الضيق .  
قال بدرالدين :

— جاءنا الدور الآن • هيا لنعبر الى الروملي !  
 غادرنا ازنيق ليلا • كان الفرسان يتعقبوننا • وكان  
 الظلام يشكل حجاباً بيننا وبينهم • ومن خلف هذا الحجاب كنا  
 نسمع أصوات نعال الخيل • الدليل في المقدمة وجواد بدرالدين  
 بين جوادي الأحمر وجواد آنتاس • كنا ثلاث أمهات  
 وبدرالدين طفلنا • كنا نرتجف خوفاً وقلقاً على بدرالدين • كنا  
 ثلاثة أطفال ، وبدرالدين أبونا • فكلما بدت أصوات نعال  
 الخيل القادمة من خلف الظلام مقربة كنا نسارع الى الاقتراب  
 من بدرالدين وندس فيه !  
 بالتخفي نهاراً ومتابعة المسير ليلا وصلنا الى اسفانديار  
 حيث ركبنا احدى السفن •

## - ٦ -

ذات ليلة من الليالي كانت النجوم  
 واحدى السفن الشراعية فقط في أحد البحار •  
 ذات ليلة كانت احدى السفن الشراعية وحيدة مع النجوم  
 في أحد البحار •

النجوم لا عدّ لها ولا حصر  
 الأشرعة مظفأة  
 المياه داكنة الظلمة

والبصر يمتد مستقيماً الى ما لا نهاية •  
 آنستاس الأشقر وبكر الجزيري  
 على المجاذيف •  
 صالح قوج وأنا  
 في مقدمة السفينة •  
 أما بدرالدين

فكان يصغي الى ضربات المجاذيف  
 داساً أصابعه في لحيته •

قلت :

— أيا بدرالدين !

لا نرى شيئاً غير النجوم  
 فوق الأشرعة النائمة •

والأجواء ليست مشبعة بالهمس والوشوشات  
ونحن لا نسمع أي ضجيج

من أعماق البحر •

ان الماء الأسود صامت تماما

لا شيء الا نوم هذا الماء •

ضحك

العجوز الصغير ، لحيته البيضاء أطول منه ،

وقال :

— لا يخدعك سكون الأجواء

فالبهار تغط في النوم وتغط لتستيقظ فجأة •

ذات ليلة كانت النجوم المتفردة في أحد البحار

وكانت سفينة شراعية •

ذات ليلة كانت احدى السفن الشراعية تعبر البحر الأسود

الى الغابة المجنونة ( الى دلي أورمان )

الى بحر الأشجار ...

## - ٧ -

ها هي غابة دلى أورمان ( الغابة المجنونة ) لقد وصلنا

ونصبنا خيمتنا في بحر الأشجار •

وحتى يعرف الناس أننا جئنا

أننا هنا لمتابعة العمل

أطلقنا نيراً من كل غصن الى كل قرية •

وعاد كل نسر يتقدم مئة من الأسود •

جاءنا الفلاح والصانع بعد احراق زرع البسكات والسوق

جاءنا الشعب كله محطماً قيوده

ها ان جميع أنصارنا في الروملي قد اجتمعوا

جاؤوا أنهاراً أفواجاً الى بحر الأشجار ...

وها قد قامت القيامة الحمراء !

اختلط الحابل بالنابل

اختلطت قطع اللحم البشري مع الريح

والحديد وأوراق الشجر والجلود

مع أغصان اللباب ، مع جذور السنديان •

ما من أحد سبق له أن رأى عالماً كهذا

وما من أحد سبق له أن سمع مثل هذا الضجيج

منذ أصبحت الغابة المجنونة مجنونة ...





## - ٨ -

تركنا آنتاس في مقر جيش بدرالدين ونزلنا ، أنا والدليل ،  
الى غلي بولو Gelibolu ، كان ذلك نتيجة مؤامرة ما على  
الأغلب . قطعنا البحر سباحة الى الشاطئ المقابل . الا أن الذي  
جعلنا سريعين مثل السمك لم يكن شوقنا الى مشاهدة وجه  
حسناء في ضوء القمر ، بل انجاز مهمة ايصال أخبار من الشيخ  
الى تلميذه مصطفى هذه المرة ، الى قره بورنو عن طريق أزميز .

ولدى وصولنا الى أحد خانات المسافرين بالقرب من أزميز  
سمعنا أنباء قيام بايزيد باشا المسك بيد ابن الملك البالغ من  
العمر اثني عشر عاما بتجميع جيوش الأناضول وحشدتها .

لم نضع كثيرا من الوقت في أزميز . وعند خروجنا من  
المدينة باتجاه الطريق المؤدي الى آيدن التقينا بأربعة من  
الجلييين . كانوا يتسامرون ويأخذون قسطاً من الراحة تحت  
شجرة جوز كبيرة في أحد البساتين وقد أغرقوا عدداً من رؤوس  
البطيخ في البئر لكي تبرد . كانوا يرتدون ألبسة مختلفة ، ثلاثة  
منهم اعتَمروا العمامم والرابع كان يلبس طربوشاً . تبادلنا  
التحية . وعرفنا أن أحد أصحاب العمامم هو « نشري » ، قال  
- قرر السلطان محمد توجيه بايزيد باشا لمحاربة  
بوركلوجه الذي يدعو الشعب الى اعتناق مذهب الاباحية .

وردّ عليه صاحب عمامة آخر هو شكر الله بن شهاب الدين  
كما قيل :

— لقد تجمع عدد كبير من الناس حول هذا الصوفي •  
وما أكثر الممارسات المناقضة للشرعية المحمدية في أعمال  
هؤلاء !

أما ثالث أصحاب العمام ، وهو عاشق بيثه زادة كما  
قيل ، فقد علّق قائلاً :

— سؤال عندما يجري تقطيع جسد بوركلوجه في  
النهاية ، هل سينتقل الى العالم الآخر بايمان أم بدون ايمان ؟  
— جواب الله وحده يعلم ، لأننا عاجزون عن معرفة  
حاله لحظة الموت ...

ونظر معتمر الطربوش ، وهو جلبي يتولى وظيفة مدرّس  
تاريخ الكلام في كلية اللاهوت ( الفقه — الشريعة ) ، الى  
وجهينا • وابتسم بكثير من الخبث غامزاً بكلتا عينيه • غير أنه  
لم يقل شيئاً •

أما نحن فاسترنا جوادينا بالمهاميز • وانطلقنا مخلفين  
أولئك الذين كانوا يتسامرون ويبردون البطيخ في ماء البر  
تحت شجرة جوز في أحد البساتين ، خلف غبار حوافر جوادينا  
الى آيدن ، قره بورنو ، والتقينا بيوركلوجه هناك •

## - ٩ -

كان الحر شديداً

شديداً •

كان الحر سكيناً دامى القبضة

مثلوم النصل •

كان الحر شديداً •

كانت الغيوم جبلى ، ثقيلة

توشك الغيوم أن تفرغ حمولتها

توشك أن تفرغ •

هو نظر دون أن يتحرك ،

ثم هبط من فوق الصخور

الى السهل عيناه مثل نسرين •

هناك حيث الأنعم والأصلب

حيث الأرسخ والأكثر كرمأ

حيث الأكثر

جأ

حيث الأعظم ، الأروع جمالا بين النساء

هناك الأرض

الموشكة على الولادة

ها قد وضعت !



كان الحر شديداً •  
ونظر من فوق جبال قره بورنو  
نظر الى الأفق الذي يحد هذه الأرض  
عاقداً حاجبيه :

ورأى حريقاً هائلاً تعلوه خمسة ألسنه عملاقة من اللهب  
مالتاً الأفق بالمقابل

حريقاً يجر خلفه صرخات نجيب العراة الحادة ،  
حريقاً يقطع رؤوس الأطفال  
مثل زناة الأرض العتاة •  
كان هذا القادم

الشاه زادة مراد

لقد صدر قرار هو مايوني ( ملكي ) بتكليف شاه زادة مراد بالاسم  
أن يتوجه الى منطقة آيدن  
لمنازلة الملحد مصطفى خليفة بدرالدين •

كان الحر شديداً •  
نظر الملحد مصطفى خليفة بدرالدين ،  
نظر الفلاح مصطفى ،  
نظر دون خوف

دون غضب

دون ضحك •



## نظر نظرة ثاقبة

مستقيمة •

نظر

الى هناك حيث الأنعم والأصلب  
حيث الأرسخ والأكثر كرمًا  
حيث الأكثر  
جباً

حيث الأعظم والأروع جمالا بين النساء

هناك الأرض

الموشكة على الولادة

ها قد وضعت !

نظر هو •

ونظر أبطال بدر الدين من أعالي الصخور نحو الأفق •

وشيئاً فشيئاً كانت تقترب نهاية هذه الأرض

• على جناحي بومة تحمل فرماناً صادراً عن الملك •

وكان هؤلاء قد فتحوا هذه الأرض ،

هؤلاء الذين ينظرون من أعالي الصخور أنفسهم ،

بأغنايبها وتينها ورمانيها

بقطعانها ذات الصوف الشبيه بلون العسل

ذات الألبان الأشهى من العسل

بجيادها المشوقة ذوات أعراف الاسود •





كانوا قد جعلوا هذه ارض دون جدران ودون حدود  
جعلوها مبسوطة مفتوحة مثل مائدة أخوية •

كان الحر شديداً •

نظر هو •

ونظر أبطال بدرالدين نحو الأفق •••

الى هناك حيث الأنعم والأصلب

حيث الأرسخ والأكثر كرمًا

حيث الأكثر

حباً

حيث الأعظم ، والأروع جمالا بين النساء

هناك الأرض

الموشكة على الولادة

ها قد وضعت !

كان الحر شديداً !

كانت الغيوم جبلى ، مثقلة بالأحمال

كانت قطرات المطر الأولى مثل الكلام الجميل وشيكة

السقوط على الأرض ••

وفج •••

آه —

الآلاف العشرة قدّموا ثمانية آلاف منهم ...  
ليستطيعوا أن يقولوا  
معاً كنا !  
في كل مكان

معاً وبصوت واحد غنينا  
معاً سحبتنا شباك الصيد من الماء  
معاً نحتنا الحديد وزخرفناه  
من أجل أن نكون معاً جميعاً عند فلاحة الأرض  
من أجل أن نستطيع تذوق التين العسل سوية  
من أجل أن نقسم كل شيء  
عدا وجنة الحبيبة .

هزموا .

وراح المنتصرون يمسحون  
سيوفهم المدماة  
بأثواب المهزومين البيضاء غير المخططة  
ومثل أغنية جماعية ينشدها الجميع سوية  
حفرّت الأرض المشغولة بالأيدي المتآخية معاً  
بسنابك الجياد  
المطهمة المعلوفة في قصر أدرنه .

كانت تلك نتيجة حتمية  
للظروف التاريخية ، الاجتماعية ، الاقتصادية !  
لا تقل لي ذلك !

أنا الآخر أعرف !  
وأخني رأسي اجلالا لما تقول .  
غير أن هذا القلب  
لا يجيد تلك اللغة .  
فهو يقول : « اللعنة عليك أيها الفلك الأحذب  
« عليك اللعنة أيها الزمن العاهر ! »  
واحداً اثر واحد

خلال لحظة عابرة  
على أكتافهم بقع سوداء ، زرقاء ، من لسعات الكراييج  
وجوهم غارقة في الدم ،  
يسرون وهم يدوسون قلبي بأقدامهم الحافية ،  
يمر مهزومو قره بورنو من أعمال آيدن . . . (\*)

---

(\*) الان وانا اكتب هذه الاسطر اتخيل بمضى الشباب الذين يزعمون انهم  
« يساريون » ، اتخيل هؤلاء الذين سيقولون كلاما من قبيل « ماذا فعل  
هذا الرجل ! انه يفصل بين عقله وقلبه ، يا له ! انه يجرؤ على ان يقول  
رغم ان عقلي يقبل بالظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية فان قلبي  
بضطرم ، لبحرق ويحترق يا له من ماركسي . . . » انني اتخيل ذلك  
مثلا تخيلت في البداية مدرس تاريخ الكلام وكدت اسمع فههاته المججلة

وما استطاردى هذا من أجل ذلك النوع من الشباب ، بل هو من  
 أجل أولئك الذين بدأوا توهم بقراءة الماركسية ، أولئك البعيدون كل  
 البعد عن استخدام الماركسية طريقا للبروز والتألق  
 لو أصيب ابن أحد الأطباء بالورم ، ولو أدرك هذا الطبيب أن موت  
 ابنه مؤكد ، فقبل به على أنه حتمية فيزيولوجية ، بيولوجية ، وما لا  
 أدري من « اللوجيات » ، فهل يمتنع هذا الطبيب الواقف على الحقيقة عن  
 ذرف ولو دمة واحدة حزنا على ابنه المتوفي ؟  
 ألم يذكر ماركس ، وبأعمق اعماقه مثل « أغنية بالفة الحزن » ،  
 شهداء الكومونة الكبار رغم معرفته المسبقة الأكيدة بأن الكومونة ستهزم ،  
 ورغم اطلاعه الكامل على سائر الشروط التاريخية والاجتماعية والاقتصادية  
 المؤكدة لشل ذلك السقوط ؟ ألم تكن دمة حرة ، ولو دمة واحدة ،  
 في أصوات الذين كانوا يهتفون بأعلى أصواتهم قائلين « ماتت الكومونة !  
 عاشت الكومونة ! » ؟  
 ليس الماركسي رجلا آليا ، انه إنسان مجسد ملموس تاريخي  
 واجتماعي ، بلحمه ودمه وأعصابه وب عقله وقلبه

## - ١٠ -

وقفوا في وسط الظلام •  
هو أخذ الكلام ليقول :  
« - أقاموا معرضاً في مدينة آياسلوك  
وهناك أيضاً ضربوا العديد  
من أعناق الأحبة والرفاق ! »

كان المطر يهطل مدراراً  
دون انقطاع  
أخذوا الكلام وقالوا له  
« - لم يقيموا المعرض بعد  
الا أنهم  
سيقومونه •  
لم تهدأ الرياح العاصفة بعد  
الا أنها  
ستهدأ

لم يضربوا عنقه بعد  
الا أنهم  
سيضربونه » •  
وعندما كانت الظلمة تبتل شيئاً فشيئاً  
ظهرت حيث كانوا

فأخذت الكلام وقلت :  
 « - أين هو باب مدينة آياسلوك ؟  
 دلوني ولأمر !  
 وهل لهذه المدينة سور ؟  
 قل حتى أهدمه •  
 هل يأخذون باجاً ( ضريبة )  
 حتى لا أدفع ؟  
 رد هو عليّ قائلاً :  
 « - بوابة آياسلوك ضيقة •  
 هي ليست للخروج بعد الدخول •  
 ولها سور  
 ليس من السهل هدمه •  
 أيا راكب الجواد الأحمر ، أيا بطل !  
 ارحل من هنا وتابع شؤونك ! »  
 قلت : « أدخل وأخرج ! »  
 قلت : « أحرق وأدمر ! »  
 قال : « توقف المطر  
 بدأت الغيوم تنقشع  
 وها هو الجلال  
 ينادي  
 مصطفى !





أيا راكب الجواد الأحمر ، أيا بطل !  
 ارحل من هنا وتابع شؤونك !...»  
 قلت : « - يا رفاق

اتركوني

• دعوني

أيا رفاق

دعوني أراه

دعوني أراه !

لا تظنوا

أنني لن أحتمل •

لا تظنوا

أنني غير قادر على أن أحترق

دون أن يرى الناس أنني أحترق •

يا رفاق

لا تقولوا « لا »

لا تقولوا « لا » عبثاً

فهذا ليس تفاحة ستسقط عن أمها

ليس هذا تفاحة ،

فهو لن يسقط من مكانه ولو كان جريحاً

هذا القلب

هذا القلب ليس شبيهاً بالدوري

ليس شبيهاً بالدوري !

أيها الرفاق

أنا أعلم !

أيها الرفاق

انتي أعرف أين هو ، وفي أية حال !

انتي أعرف

أن جسده العاري تماماً

مثبت على صليب مصبوغ بالدماء

فوق هودج أحد الجمال

مسمّر من ذراعيه •

أيها الرفاق

اتركوني

اتركوني

أيها الرفاق

دعوني

أذهب لألقي نظرة عليه

دعوني

أرى مصطفى بوركلوجه أحد أتباع بدرالدين

مصطفى •

ألفان ممن ستضرب أعناقهم



مصطفى وصلييه  
 الجلال ، الجذع ، الساطور ،  
 كل شيء جاهز  
 كل الأمور تامة •

سرج أحمر مزركش بالألوان  
 ركابتان من الذهب ،  
 وجواد أغبر •  
 على صهوة الجواد طفل ذو حاجبين كثيفين :  
 انه الشاه زادة السلطان مراد باديشاه آماسيا •  
 وبجانبه

بايزيد باشا الذي يحل عدداً لا يحصى من الرياش على رأسه  
 أهوى الجلال بساطوره •  
 انفلقت الرقاب العارية مثل الرمان ،  
 ومثل تفاحات تسقط من غصن أخضر  
 تساقطت الرؤوس واحداً بعد الآخر •  
 وكل رأس عند السقوط الى الأرض  
 نظر نظره الأخيرة  
 الى مصطفى المشبوح على صلييه  
 وما من شعرة اهتزت لأي من الرؤوس الساقطة  
 بل اكتفى بإطلاق بيت  
 من أغنية « دادا ... » الجماعية ...

## - ١١ -

ثم جاء بايزيد باشا الى مانيسا حيث ألقى القبض على كمال طورلاق وقام بشنقه ، وتم تفتيش عشر ولايات للقضاء على من ينبغي القضاء عليهم من أجل إعادة هذه الولايات لعييد السلطان من البيكوات وأصحاب التيمار .

أنا ودليلي مررنا بالولايات العشر . كانت أسراب البزاة والطيور الجارحة تحوم فوق رؤوسنا ، وتنقض بين الحين والآخر مطلقة أصواتا عجيبة لتسلل الى الوديان المظلمة بحثاً عن أجساد الفتيات والأطفال التي لم تجف دماؤها بعد . فعلى الرغم من أن أجساد الرجال الشباب منهم والمسنين كانت منتشرة بكثرة تحت الشمس وعلى جانبي الطريق ، كان تفضيل الكواسر للحم النساء الصغيرات والأطفال فقط انما يبين مدى شبح هذه الطيور الكاسرة .

وفي الطريق كنا نلتقي بوحدات جيوش البيكوات الطغاة . كان البيكوات العبيد أتباع الطاغية وأدواته يعودون الى اقطاعاتهم ليتركزوا فيها في ظل أجواء محملة برياح ثقيلة الحركة قابضة للنفس مثل أجواء كرم متعفن وعبر أرض متشققة ، حاملين ألويتهم المزركشة فاقعة الألوان محدثين الكثير من الضجيج بطبولهم ومزاميرهم . في هذه الأثناء غادرنا الولايات العشر . وشاهدنا غلي بولو Gelibolu في الجهة المقابلة .

حدثت دليلي قائلًا :

— لقد أنهكتني التعب تماماً • ليس من الممكن أن أقطع  
البحر سباحة •

فعرنا على قارب •

كان البحر هائج الأمواج • نظرت الى صاحب القارب •  
وجدته شبيهاً بالصورة التي اقتطعتها من الغلاف الداخلي لأحد  
الكتب الألمانية لأعلقها فوق رأسي في المهجع • شارباه الكثيفان  
بسواد الفحم ، لحيته عريضة وناصعة البياض • لم يسبق لي أن  
رأيت جبهة تتصف بكل هذا الوضوح ، جبهة تجيد الكلام •  
وصلنا الى منتصف المضيق • البحر يجري دون توقف ، في  
الهواء الرصاصي تتدحرج كتل المياه مزبدة من قاعدة قاربنا ،  
وفي هذه الأثناء قال صاحب القارب الشبيه بالصورة المعلقة على  
جدار المهجع :

— ان الصراع بين الحر والعبد ، بين النبلاء والعمامة ،  
بين الاقطاعي وكن الأرض ، بين المعلم والصانع ، بكلمة واحدة  
بين المضطهدين والمضطهدين استمر في تناقض لانهائي بين  
الفريقين مكشوفاً حيناً وفي الخفاء حيناً آخر •

- ١٢ -

عندما وصلنا الى الروملي سمعنا أن الجلي السلطان  
محمد جاء الى سيرز بعد رفع الحصار عن قلعة سلانيك •  
وبغية الوصول الى الغابة المجنونة ( دلي أورمان ) تابعنا المسير  
ليلاً ونهاراً •

و ذات ليلة ونحن نأخذ قسطاً من الراحة جالسين بجانب  
الطريق مرّ أمامنا ثلاثة فرسان قدموا من الغابة المجنونة وتوجهوا  
نحو مدينة سيرز ، وكنت قد رأيت على أحد الجياد طيفاً  
أميل الى السواد يشبه جسم الانسان يتدلى مثل الخرج •  
اتنفضت ووقف شعر جسدي • قلت للدليل :  
أنا أعرف أصوات هذه الحوافر المحددة •  
فهذه الجياد الدهماء المدماة أعرفها  
اعتادت أن تنقل الأسرى المربوطين خلف السروج  
مندفعة بسرعة البرق في الطرقات المظلمة •  
أنا أعرف أصوات هذه الحوافر المحددة •  
فتلك

ذات صباح

تكون قد تسلت الى خيمتنا مثل أغنية صديقة •  
ربما تقاسمنا معها رغيف الخبز •  
ما أجمل الأجواء ،  
ما أكبر آمال الفؤاد ،

عادت العيون طفلة

ونام صديقنا العظيم    الشك .. غط في النوم ...

أنا أعرف أصوات هذه الحوافر المحددة •  
فتلك

ذات ليلة

ابتعدت كثيراً عن خيمتنا  
وأعمدت الخنجر في ظهر الحارس  
وهي الآن خلف السروج

تحمل معها أثمن ما عندنا  
وذراعه مربوطتان الى الخلف •

أنا أعرف أصوات هذه الحوافر المحددة •  
والغابة المجنونة أيضاً تعرفها ...

وقبل انقضاء وقت طويل بلغنا أن الغابة المجنونة هي  
الأخرى عرفت أصوات هذه الحوافر • لأننا ما أن داست أقدامنا  
أطراف غابتنا حتى سمعنا أن بايزيد باشا أرسل عدداً من  
جواسيسه وعملائه جنباً الى جنب مع سائر التدابير التي اتخذها  
ليتسللوا الى الغابة وليتوغلوا بين صفوف أتباع بدرالدين  
وليسعوا للوصول الى مقره ، ففعلوا • وانقضوا على شيخنا النائم  
في خيمته في احدى الليالي واختطفوه • ذلك يعني أن الخيالة



الثلاثة الذين رأيناهم ونحن في الطريق هم أسلاف سائر المخربين  
الذين ظهروا في التاريخ العثماني ، وبدرالدين هو الأسير الذي  
حملوه معهم •

## - ١٣ -

الروملي ، سيرز  
وعبارة قديمة مركبة :

**حضرة الهومايون**

في وسط الساحة  
منتصب مثل سيف دق في الأرض  
عجوزنا •

الطاغية في الطرف المقابل •  
نظر كل منهما الى الآخر •

كان الطاغية يريد :  
قبل بطح هذا الكفر المجدد أرضاً  
لا بد من أن يقول كلمته الأخيرة قبل شنقه  
ومن جهة أخرى لا بد من إبراز فضائل الشريعة  
وذلك عن طريق تنفيذ العملية مع مراعاة المراسم والآداب •  
حضر المجلس  
ذلك الذي يدعى بمولانا حيدر  
القادم لتوه من بلاد العجم  
يقوم بدور المستشار الشرعي العظيم

مَسَدَ لِحِيَّتِهِ الْمُحَنَّاةَ وَطَلَبَ الْإِلَهَامَ الرَّبَّانِي

ثُمَّ قَالَ :

« أَمْلَاكَه حَرَامٌ أَمَّا دَمُهُ

فَحَلَالٌ تَمَاماً »

وَحَاكَّتِ الْمَعْضَلَةُ !... ..

التفتوا الى بدر الدين

وقالوا : « تكلم أنت أيضاً »

وقالوا : « ادفع الآن ثمن الحادك » •

مَدَّ بِدَرِ الدِّينِ بَصْرَهُ عِبرَ الْأَقْوَاسِ إِلَى الْمَدَى •

كَانَتِ الشَّمْسُ سَاطِعَةً •

أَغْصَانُ أَحَدِي الْأَشْجَارِ فِي الْبَاحَةِ اخْضُرَّتْ ،

وَالْحَجَارَةُ تَحْتَهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ •

تَبَسَّمَ بِدَرِ الدِّينِ •

وَلَمَعَتْ أَعْمَاقُ عَيْنَيْهِ ،

قَالَ :

— طَالَمَا أَنَا مَغْلُوبُونَ هَذِهِ الْمَرَّةَ

فَلَا فَائِدَةَ مِنْ أَيِّ قَوْلٍ نَقُولُهُ •

لَنْ أَطِيلَ الْكَلَامَ •

فَالْفَتَى تَخْصِنَا

أَصْدُرُوهَا وَنَحْنُ نَمُهرُهَا بِخَتْمِنَا... ..

## - ١٤ -

يهطل المطر ويبدأ  
خائفاً

بصوت خفيض  
كما لو كان يروي حديث خيانة •

يهطل المطر ويبدأ  
مثل جري أقدام المرتد البيضاء الحافية  
فوق أرض مبللة وداكنة •

يهطل المطر ويبدأ  
في سوق الحرفيين بسيرز ،  
ومقابل دكانة أحد النحاسين  
نرى بدرالدين معلقاً على إحدى الأشجار •

يهطل المطر ويبدأ  
في ساعة لا نجوم فيها من ساعات الليل الأخيرة ،  
إن الذي يتبلل بالمطر  
وينوس على غصن خال من الأوراق  
هو اللحم العاري تماماً لشيخنا •

يهطل المطر ويبدأ  
 لا لسان لسوق سيرز  
 سوق سيرز أصيب بالعمى •  
 الحزن اللعين لانعدام الكلام وانعدام الرؤية الذي لف الأجواء  
 جعل سوق سيرز يغطي وجهه بيديه •  
 ويهطل المطر ويبدأ •

## قمصن الطور نجيب شفيق

كان المطر يهطل ويبدأ • لاحت تباشير الصباح على وجه  
السماء الغائمة فوق الأفق ، وفي الأفق الملاصق للبحر خلف  
القضبان الحديدية في الخارج • أتذكر جيداً حتى هذا التاريخ •  
في بداية الأمر أحسست بيد تربت على كتفي • ولدى التفاتي  
رأيت الطورنجي شفيق • كان منبسط الأسارير تماماً وثبتت عينه  
السوداوين الفاحمتين عليّ ليقول :

— لم تنم هذه الليلة على الأغلب •

أصوات صليل سلاسل من هم في الطابق العلوي كانت قد  
هدأت • لا بد أنهم غرقوا في النوم بعد أن طلع الصبح ، وأصوات  
صفارات الحراس فقدت معناها بعد انتشار نور النهار ، وأمحت  
أصباغها واحدودت خطوطها القاسية التي لا تتضح الا في  
الظلام •

فتح باب المهجع من الخارج • الشباب في الداخل  
ينهضون بعد استيقاظهم واحداً بعد الآخر •  
ويسألني شفيق :

— ما بك ؟ تبدو حالتك غير اعتيادية ؟!

فأروي لشفيق قصة رحلتي الليلية :

— لقد رأيت ذلك كله بأم عيني • لقد أتى الى خلف

هذه النافذة • وكان يرتدي قميصاً أبيض فضفاضاً • أمسكني من  
يدي • وقمت بالرحلة كلها معه جنباً الى جنب أو بالأحرى كان  
على الدوام دليلاً لي يرشدني الى الطريق •••  
ويضحك الطورنجي شفيق • ويلفت نظري الى النافذة  
ليقول

— أنت لم تقم برحلتك مع أحد مريدي مصطفى بل  
مع قميصي أنا • أنظر كنت قد نشرته هناك مساء البارحة ،  
وهو لا يزال هناك حتى الآن •••

فأضحك أنا الآخر وأمد يدي لآخذ من على القضبان  
قيص الطورنجي شفيق الذي كان دليلاً لي في حركة بدرالدين  
ابن قاضي سيماون • ويلبس شفيق قميصه • وذاعت أنباء  
« رحلتي » بين سائر الرفاق نزلاء المهجع • ثم يقول أحمد  
— أكتب هذا • نريد منك « ملحمة بدرالدين » • وها أنا  
أيضاً سأروي لك قصة تجدر بأن تثبتها في آخر الكتاب •••  
وفيما يلي القصة التي رواها أحمد أضعها في نهاية كتابي

## القصة التي رفاها احمد

كان ذلك قبل حرب البلقان ، وكنت في التاسعة من عمري • نزلنا ، أنا وجدي ، ضيفين على أحد الفلاحين في الروملي • كان الفلاح أزرق العينين نحاسي اللحية • شربنا عصيدة الكشك مضافة اليها كمية وفيرة من القليفة الحمراء • كان شتاءً ، كان واحداً من فصول الشتاء الجافة والحادة مثل سكين شديد الحدة المعروفة في الروملي • لا أستطيع تذكر اسم القرية • إلا أن الدركي الذي رافقنا حتى الطريق ، كان قد وصف أهلها بأنهم من أعند فلاحى العالم وأشدهم امتناعاً عن دفع الضرائب وأكثرهم كبرياء واحساساً بالكرامة •

وبالنسبة للدركي لم يكن هؤلاء لا من المسلمين ولا من الكفار • ربما كانوا من القزيل باش ( ذوى الرؤوس الحمراء ) [ وهذا الاسم لا يزال يطلق على أتباع الطوائف والطرق الدينية غير السنية حتى الآن - المترجم ] ولكنهم لم يكونوا أيضاً من القزيل باش تماماً •

لدى دخولنا القرية كانت الشمس موشكة على الغروب • والطرق كانت متجمدة لا يمكن متابعة السير عليها • وعلى الطريق كانت برك المياه المجمعة قد تحولت الى قطع من الزجاج





المتألىء... .

استقبلنا عند مدخل القرية حيث السياجات الأولى التي بدأت تختلط بالظلام أحد الكلاب • كان كلباً كبيراً وبدأ في أجواء العتمة أكبر مما هو عليه • وقد دأب على النباح • سائق العربة التي كنا نستقلها شد اللجام • ولكن الكلب بقي مصراً على مهاجمة الجياد مقتحماً صدورها •

أخرجت رأسي من وراء ظهر سائق العربة لأرى « ماذا يحدث ؟ » • وفي هذه الأثناء ارتفع ساعد سائق العربة ويده الكرباج بعد أن صدم وجهي برفقه ونزل الكرباج محدثاً صوتاً أشبه بصوت صفير الأفاعي على رأس الكلب • وفي هذا الوقت بالذات سمعت صوتاً أجش يقول :

— يا أنت هناك ... هل توهمت أنك قائم مقام وأن الذي تضربه هو أحد الفلاحين ؟ ..

ثم نزل جدي من العربة وحيا صاحب الكلب ذا الصوت الخشن « مرحباً ! » وجرى حديث بينهما • وبعد ذلك استضافنا صاحب الكلب ذو اللحية النحاسية والعينين الزرقاوين في بيته •

هناك العديد من الأحاديث التي سمعتها في طفولتي ولا تزال أصداؤها تتردد في أذني • ومع تقدمي في السن فهمت معاني تلك الأحاديث بأكثريتها : بعضها أثار دهشتي وبعضها الآخر أضحكني ، وبعضها الثالث استفز غضبي • ولكن أية من القصص التي سمعتها في طفولتي من أفواه الكبار لم تمارس تأثيرها عليّ طوال سني حياتي كما فعلت تلك المحادثة التي دارت بين الفلاح ذي العينين الزرقاوين وبين جدي تلك الليلة •

كان لجدي صوت ناعم متأن كصوت المتأدين من

الوعاظ • أما الآخر فقد تحدث بصوت خشن أجش ، بصوت يدل على الايمان العميق •

كان ذلك الصوت الخشن العميق يقول

ظل الجسد العاري تماماً لبدرالدين والذي علّق على غصن شجرة جرداء من الورق هناك في السوق بمدينة سيرز تنفيذاً لارادة الطاغية وبالا نسجام مع فتوى الملا الايراني حيدر ، ظلّ هذا الجسد يترنح الى اليمين حيناً والى الشمال حيناً آخر • وفي احدى الليالي ظهر من احدى زوايا السوق ثلاثة رجال ، أحدهم كان يقتاد جواداً احتياطياً ممسكاً برسنه بيده اليسرى • وكان هذا الجواد دون سرج • تقدم الرجال الثلاثة حتى وصلوا الى ما تحت الشجرة التي علّق عليها بدرالدين • من كان على اليسار خلع نعليه وتسلق الشجرة • أما الآخران فقد وقفا على الأرض بعد أن فتحا أذرعتهما • بدأ المتسلق على الشجرة بقص عقدة الجبل المشبع بالصابون المبلل والملتف مثل أفعى حول العنق النحيل لبدرالدين من تحت لحيته البيضاء الطويلة • وفي لحظة غفلة انزلق رأس نصل السكين من فوق الجبل لينغرز في عنق الميت الذي كان قد استطال • لم ينزف الجرح • امتقع لون بشرة الشاب الذي كان يحاول قطع الجبل • ثم انحنى على الجرح وقبّله ، وعاد الى وضعه • ألقي بالسكين بعيداً وراح يفكك العقدة المقطوعة الى نصفها يديه ، وعندما انتهى أسلم جسد بدرالدين ، مثل أب يودع ابنه النائم في حضن أمه ، لأذرع الشابين اللذين كانا ينتظران في الأسفل • وهذان بدورهما وضعا الجسد العاري على ظهر الجواد العاري • ونزل الشاب الذي كان فوق الشجرة الى الأرض • كان هذا أصغرهم سناً • وأنى مقتاداً



الجواد العاري المحمل بالجسد العاري الى قريتنا • وقام بدفن  
الجثة في أعلى السفح هناك تحت الشجرة السوداء • غير أن خيالة  
الطاغية اقتحموا القرية فيما بعد • وما أن رحل هؤلاء حتى  
بادر الشاب الى رفع الجثة من تحت الشجرة السوداء خوفاً  
من أن يعاود عساكر الطاغية الكرّة ويعثروا على الجثة • ولم يعد  
الشاب الى القرية ثانية •

ويسأله جدي قائلاً :

— هل أنت واثق تمام الثقة من أن هذا حصل كما تقول ؟  
— نعم ، بكل تأكيد • لقد رواه لي جدي أبو أمي • وهو  
سمعه من جده الذي سمعه من جده وهكذا • • • لقد تناقلت  
الأجيال هذه الرواية جيلاً عن جيل • • •

وفي الغرفة كان هناك ثمانية الى عشرة فلاحين ، سوانا •  
كانوا يجلسون متحلقين عند أطراف الدائرة المضاءة مع اصطباغ  
بالحبرة حول الموقد • وبين الحين والآخر يتحرك واحد أو  
اثنان منهم فتصطبغ أيديهم وأجزاء من وجوههم وبعضاً من  
أكتافهم الممتدة نحو مركز الدائرة باللون الأحمر •

ثم أسمع صوت صاحب اللحية النحاسية :

— انه سيعود • ذلك الذي علّق على الشجرة عارياً  
تماماً سيعود عارياً مرة أخرى •

ويضحك جدي ثم يقول :

— ايمانكم هذا شبيه بايمان المسيحيين • فهم أيضاً يقولون  
بأن النبي عيسى سيعود الى العالم ثانية • بل وهناك اعتقاد  
شائع بين صفوف بعض المسلمين يقول بأن النبي عيسى سيظهر  
ذات يوم في الشام الشريفة •

ولم يكن الفلاح يرد على كلام جدي بصورة مباشرة • بل كان يسوي من جلسته ممسكاً بيديه وأصابه الغليظة ركبتيه • ها قد أصبح الآن داخل الدائرة الحمراء بكل جسده • وأنا أرى أحد جانبي وجهه • كان يحمل في وجهه أنفاً كبيراً • وكان يتحدث وكأنه في شجار :

— يزعمون بأن النبي عيسى سيبعث حياً بلحمه وعظامه ولحيته وهذا غير صحيح • أما جثة بدرالدين فستعود الى الحياة بنظرات العيون وبكلمات اللسان وشهقات الصدر دون عظام ودون لحية وشوارب ••• هذا ما أنا موقن بأنه سيحدث ••• نحن من أتباع بدرالدين ولا نؤمن بالآخرة ويوم القيامة حتى نصدق خرافة أن الجسد الفاني سيتجمع مرة أخرى لينبعث حياً • وعندما نقول بأن بدرالدين سيعود فأتنا انما نؤكد بأن كلامه ونظراته وأنفاسه هي التي ستنبعث من بين صفوفنا • توقف عن الكلام • وعاد الى جلسته الأولى • ولست أعرف ما اذا كان جدي قد آمن بأن بدرالدين سيعود ثانية أم لا • أما أنا فقد آمنت بذلك وأنا في التاسعة ، كما أو من الآن به بعد أن تجاوزت الثلاثين من عمري •



## ذيل رسالة « ملحمة بحر الدين ابن قاضي سيمانده »

كنت أقوم باستعراض دفتر للمذكرات ملأته خلال ليالي السجن الطويلة وأقرأ تلك الملاحظات التي استندت إليها في كتابة « ملحمة الشيخ بدرالدين بن قاضي سيمانده » وذلك بعد عودتي من المطبعة صباحاً حيث صحت الملزمة الرابعة من الملحمة المذكورة .

وأنا أعلم أن من المستحيل إضافة كلمة واحدة الى هذه الرسالة التي أصبحت ملزمته الأخيرة تحت آلة الطباعة تذهب وتجيء . راودني شعور بأنني نسيت شيئاً ما . خيّل لي أنني نسيت أن أضع النقطة الأخيرة عند نهاية السطر الذي أنجزت كتابته .

كان الوقت يقترب من الظهر . وكانت رياح الجنوب الرطبة قد هدأت بعد إفراغ طاقتها فوق الغيوم الثقيلة . تشقق الرداء الأسود للسماء وظهرت خطوط متوازية من الضوء . ثم توقف المطر هو الآخر قبل انقضاء وقت طويل . صفا الجو فجأة مثل نافذة سقطت ستائرهما على حين غرة .



وفيما أنا غارق في دفتر مذكراتي الذي ملأت صفحاته خلال ليالي السجن أبحث عن تلك النقطة التي نسيت أن أضمها في نهاية « ملحمة » ي ، رأيت السليمانية .

تحت شمس الظهيرة التي تحررت لتوها من اسار الغيوم كانت السليمانية مثل جبل أسند ظهره الى الغيوم .

المسافة التي تفصل نافذة بيتي عن السليمانية هي مسيرة ساعة على الأقل . الا أنني الآن أراها وأتخيل أنني قادر على الامساك بها لو مددت يدي . قد يكون ذلك عائداً الى أنني معتاد على رؤية جميع تفاصيل السليمانية حتى أدقها وأنا مغمض العينين .

الريح والبحر وذلك الجسر الحجري القديم المرفوع على أقواس بسيطة ونحيلة الى درجة يذهل المرء من قدرتها على حمله ، وأغنية « موعدنا يوم الاربعاء جرفه السيل ! » « الزخرف » الكائن عن طرف اللوحة الزيتية ، مثلما أن كل هذه الأشياء ليست جامعاً وبمقدار ما هي بعيدة عن أن تكون كذلك فان منذنة السليمانية مع جامعها هي الأخرى ليست منذنة لجامع ، رغم رفع الأذان منها خمس مرات في اليوم ورغم كثرة التصاق الركب والجباه بحصرها فان علاقة السليمانية بالجوامع هي على هذه الدرجة من الوهن القريب من الانعدام .

ان السليمانية ، في رأيي ، هي واحدة من منتجات عبقرية الشعب التركي ، تتاج تحرر من ظلام الشريعة المجسدة والتعصب ليستند الى الحساب والمادة ، الى التوازن الدقيق بين الحساب والمادة . انها بيت سنان ، ومعبد المادة والنور . ولما ذكرت سليمانية سنان زاد امانه باداءه الامام الراي ورسوخ ،

وأحسست كما لو غمرتني موجة عارمة من الفرح .  
وهذه المرة أيضا وأنا منهمك بحثاً عن تلك النقطة الأخيرة  
التي توهمت أنني نسيت أن أضعها في نهاية رسالة كتبتها حول  
واحدة من كبريات حركات الشعب التركي ، عثرت فجأة على ما  
كنت أبحث عنه عندما رأيت سليمانيتنا معبورة بأشعة الشمس  
المشرقة متألثة بعد اغتسالها بالمطر الذي كان يهطل قبل قليل .  
غمرني الفرح ، قرأت ما عثرت عليه في الصفحات الأخيرة من  
دفتر مذكراتي . وأيقنت أنني مضطر لأن أكتب ذيلًا يتألف من  
عشرة أسطر أو ربما عشر صفحات الحقه برسالتي التي حملت  
عنوان « ملحمة بدرالدين بن قاضي سيمانه » .

في آخر رسالتي هناك فصل بعنوان « قصة أحمد » . فما  
عثرت عليه وما قرأته في دفتر مذكراتي ، وتلك « النقطة » التي  
أحسست بضرورة كتابتها كذيل لرسالتي هي المناقشة التي دارت  
بيننا بعد أن روى أحمد قصته لي .

وفيما يلي أنقل ما دار في هذه المناقشة كما هو  
« انتهى أحمد من رواية تفاصيل قصته للمطر الذي كان  
يوشوش في الخارج ، وللأرضية الاسمنتية المتعرقة للمهجع ،  
وللمساجين البالغ عددهم ثمانية وعشرين . بادرت قائلاً :  
— يخيّل اليّ يا أحمد أنك تشعر بشيء من الكرامة والعزة  
القوميتين وأنت تروي قصة حركة بدرالدين .

من خلال هذه الجملة التي قلتها بصوت فيه شيء من الغرابة  
المتعمدة أمسك أحمد بعبارة « الكرامة والعزة القوميتين » مثل  
سوط وراح يلوح بها في وجهي ويقول :

— نعم ، انتي أشعر بشيء من الكرامة والعزة القوميتين • فالبروليتاريا الواعية لأية أمة اتتمت استطاعت أن تنسج ملحمة مثل حركة بدرالدين لا بد لها من أن تحس بالكرامة القومية • حذار من أن تفزع من كلمتي الكرامة القومية ! عليك ألا تخاف من اجتماع هاتين الكلمتين وورودهما جنباً الى جنب ! تذكر لينين • فمن منا يستطيع أن يدعي لنفسه تحلياً بالاممية أكثر من لينين ؟ ماذا كتب لينين أكبر قائد أممي للديمقراطية البروليتارية الاممية ، للجماهير الكادحة في العالم ، للبروليتاريا الاممية ، في القرن العشرين ، في العدد /٣٥/ من جريدة « الاشتراكي الديمقراطي » عام ١٩١٤ ؟

لو قال أحمد « ماذا كتب لينين حول مسألة كذا ؟ » لأمكن وجود عدد ممن يردون على سؤاله • الا أن لجوءه الى طرح المسألة من خلال العدد /٣٥/ من جريدة « الاشتراكي الديمقراطي » أذهلنا جميعا • وما من أحد بيننا استطاع أن يتذكر الأشياء المكتوبة في العدد /٣٥/ • ابتسم أحمد ازاء ذهولنا وحيرتنا — وهو الذي اعتاد على الدوام أن يعبر عن كل مشاعره من أكثرها ايلاماً الى أشدها بعثاً على السرور عبر تلك الابتسامة الشهيرة التي كانت معروفة عنه — وتلا على سامعنا المقاطع التالية من ذاكرته المحملة بجميع الأفكار الرئيسية لأعمال لينين الكاملة مع أرقام الصفحات والاسطر :

« ... نحن البروليتاريين الروس الواعين ، هل نحن براء من شعور الكرامة القومية ؟ لا ، بالطبع ! نحن نجب لغتنا ، ونحب وطننا ، ونحن نبذل قصارى جهودنا لكي نهض بجماهير شغيلة هذا الوطن ( وهؤلاء الشغيلة يؤلفون تسعة أعشار

( السكان ) الى مستوى حياة الوعي ، الى مستوى حياة ديمقراطية اشتراكية . وما أشد الألم الذي يعتصنا عندما نرى ونحس ما يكابده وطننا الجميل على أيدي الجلادين خدم القيصر والنبلاء والرأسماليين من ألوان العنف والظلم والقهر ! وما أشد اعتزازنا حينما نرى هذا القهر قد أثار المقاومة من جانب ربوعنا ! من جانب الروس ، حينما نرى هذه الربوع وقد أبرزت راديشيف والديسمبريين والثوريين من غير النبلاء في العقد الثامن ، وحين نرى الطبقة العاملة الروسية قد أسست ، عام ١٩٠٥ حزبا جماهيريا ثوريا قويا ، وأن الفلاح الروسي قد بدأ في الوقت نفسه يصبح ديمقراطيا ، بدأ يزيج عن كاهله كابوس الكاهن والاقطاعي .... » .

« ... نحن مفعمون بالكرامة والعزة القوميتين ، لأن الامة الروسية قد أنجبت هي الاخرى طبقتها الثورية ، قد برهنت هي الاخرى أنها تستطيع أن تقدم للبشرية ، عدا المذابح الكبرى وصفوف المشاق والسجون والمجاعات والخنوع أمام القسس والقيصرة والاقطاعيين والرأسماليين ، أن تقدم عدا كل هذا آيات رائعة في النضال من أجل الحرية والاشتراكية .

« نحن مشبعون بروح الكرامة والعزة القوميتين . ولهذا بالذات نمقت أشد المقت خنوعنا واستخذاءنا الماضيين ( عندما استطاع النبلاء الاقطاعيون جرّ فلاحينا الى الحرب من أجل خنق الحرية ودوسها في كل من المجر وبولونيا وايران والصين ) ، كما نمقت أشد المقت خنوعنا واستخذاءنا الحاليين عندما نرى الاقطاعيين أنفسهم ، يساعدهم الرأسماليون ، وهم يسوقوننا الى الحرب من أجل خنق بولونيا وأوكرانيا ، ومن أجل قمع الحركة

الديمقراطية في كل من إيران والصين تدعيماً لقوة الزمرة التي تهين كرامتنا القومية الروسية ، زمرة رومانوف وبورنسكي وبوريشكيفيتش وأضرابهم • ما من أحد يلوم العبد لأنه ولد عبداً ، غير أن العبد الذي لا ينزع إلى حريته ويسعى لتبرير عبوديته تلك بل ويعمل حتى على تزيينها ( كأن يسمى خنق بولونيا وأوكرانيا وغيرهما •• مثلاً « دفاعاً عن وطن » الروس ) ، مثل هذا العبد حقير ووضع لا يستحق إلا أعظم مشاعر السخط والقرf والاشمئزاز •

بعد قيامه بتلاوة كل هذه الأسطر عن لينين صمت أحمد فجأة وأخذ نفساً عميقاً ثم تابع كلامه راسماً على وجهه ابتسامته الشهيرة وقال :

— نعم ، لأن ربوع بلادنا نحن أيضاً استطاعت أن تنجب بدرالدين وبوركلوje مصطفى وطورلاق كمال ، وفلاحى آيدن والغابة المجنونة الذين قاتلوا رافعين راية أولئك ، فانتى ، أنا البروليتاري الذكي الواعى ، أشعر بالكرامة والعزة القوميتين • انتى أشعر بهذه الكرامة القومية لأن الجماهير الكادحة فى هذه الأمة ( أى تسعة أعشارها ) استطاعت حتى خلال تاريخ الاقطاع أن توجد حركة كانت ترى البحار العيسوي من صاقيز والحرفى الموسوي من أماكن أخرى والفلاح المسلم أخوة متساوين • ولا تنسوا أبداً أنه « ما من أمة تستعبد غيرها تكون أمة حرة ! »

كنت قد أردت أن أكتب مقدمة لرسالتى التى حملت عنوان : « ملحمة بدرالدين بن قاضى سيمانوه » • أردت دراسة وتدقيق الشروط والأسباب الاجتماعية — الاقتصادية التى أدت الى ميلاد حركة بدرالدين وموتها ، أردت أن أجري مقارنة بين

مادية بدرالدين ومادية سبينوزا • غير أنني لم أوفق الى ما أردت • وبدلاً من ذلك فقد كتبت « خاتمة » قصيرة لذيّل هذه الرسالة فكانت الأسطر التالية :

كان أحمد قد قال لي : اتنا نريد منك « ملحمة بدرالدين » •  
أما أنا فلم أتمكن من انجاز أكثر من مسودة لما طلب مني •  
وسأسعى لأكتب ما هو أفضل من تلك المسودة • غير أن ما هو مطلوب مني أنا مطلوب منكم أنتم أيضاً أنتم يا من تقولون بأنكم أصدقاء أحمد ورفاقه وأخوته مثلي أنا !

ان أحمد يريد منا جميعاً أكواماً من المجلدات التي تصف تفاصيل حركة بدرالدين بكل قوتها وعظمتها ، غابات جليّة تعيد أبطال قره بورنو ودلي أورمان بلحومهم وعظامهم ورؤوسهم وقلوبهم الى الحياة كما هي ، أشعاراً تقول :

لا تتأوهوا ، أيها الرفاق ، ولا تبكوا !  
هيا ارفعوا الجسور بين الأمس واليوم  
بين اليوم والغد !

ان أحمد يريدنا أن نصنع لوحات زيتية تصور البطولة والأبطال تخليداً لذكرى حركة بدرالدين •



## المحتويات

## صفحة

٥	مقدمة
٧	ملحمة الشيخ بدرالدين بن قاضي سيماونه
٩١	قميص الطورنجي شفيق
٥٠	القصة التي رواها أحمد
٥٥	ذيل رسالة « ملحمة بدرالدين بن قاضي سيماونه »



## هذه الملحة

لعبت أفكار بدر الدين دورا كبيرا في الانتفاضات  
الفلاحية المناهضة للاقطاع والتي انتشرت انتشارا  
واسعا في مناطق آيدن ومانيسا في القرن الخامس  
عشر . حققت هذه الحركات الفلاحية بقيادة اثنين من  
تلاميذ الشيخ بدر الدين هما : بوركلوجه مصطفى  
وتورلاق كمال نجاحا كبيرا غير أن قوات السلطان  
محمد الجلبلي قامت باغراقها في بحر من الدماء بكثير  
من القسوة والعنف . بعد ذلك تمكن بدر الدين من  
عبور البحر واستأنف دعوته الثورية بعد أن عسكر  
في دلي أورمان ( الغابة المجنونة ) ، غير أن جواسيس  
السلطان تمكنوا من التسلل الى حركته ونجحوا في  
اختطاف الشيخ الذي تم شنقه في بلدة سيرز .  
ان أحد الاسباب التي جعلت ناظم حكمت  
يكتب ملحمة الشيخ بدر الدين ، بل أهم هذه  
الاسباب ، هو أن هذا الشيخ استطاع قبل خمسة  
قرون من الآن أن ينشر بين صفوف الشعب أفكار  
المساواة والحرية ودفع حياته ثمناً لنضاله في هذا  
السير .